

العنوان:	اهمية الوثائق المحلية في كتابة تاريخ المغرب : نموذج فكيك
المصدر:	مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية
الناشر:	جامعة سيدي محمد بن عبدالله - كلية الآداب والعلوم الإنسانية
المؤلف الرئيسي:	أحمد، مزيان
المجلد/العدد:	عدد خاص
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1985
الصفحات:	229 - 244
رقم MD:	417685
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	HumanIndex, AraBase
مواضيع:	الجزائر ، المغرب ، الوثائق التاريخية ، تدوين التاريخ ، فرنسا ، طنجة ، الاحوال السياسية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/417685

© 2024 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.



للإستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب إسلوب الإستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

أحمد، مزيان. (1985). اهمية الوثائق المحلية في كتابة تاريخ المغرب: نموذج فكيك.مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، عدد خاص، 229 - 244. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/417685

إسلوب MLA

أحمد، مزيان. "اهمية الوثائق المحلية في كتابة تاريخ المغرب: نموذج فكيك."مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانيةعدد خاص (1985): 229 - 244. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/417685

© 2024 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

اهمية الوثائق المحلية في كتابة تاريخ المغرب
نموذج فكيك

مزيان احمد

دراسة التاريخ المغربي انطلاقا من الوثائق المكتشفة والمحققة امر لا جدال فيه، مادامت هي الحجة الاساسية في غالب الاحيان لتعريفنا بالماضي. وكلما توفر رصيد كثيف منها، على اختلاف مستوياتها، وتعدد انواعها، تعاظمت في المقابل حظوظ الباحث للوصول إلى رسم صورة اكثر قربا من الواقع لحياة المجتمع موضوع الدرس.

وربما اعتبرنا ما ذهب اليه «براكلوغ» حكما قاسيا في حق المؤرخ، اذ اعتبر ان : «المؤرخ الذي لا يوفق في الغوص دوريا وسط تيار الوثائق الاصيلة المنعش، يتناقص بسرعة مركزه كمؤرخ.(1). ومع ذلك فعمل المؤرخ مرتبط بالضرورة بمصادر اصيلة غير مستغلة بما فيه الكفاية، ومنها الوثائق الجديدة المكتشفة. لكن ليس من السهل ان يعثر الباحث وبما فيه الكفاية، على هذه المصادر عندما يريد ان يتناول بالدرس تاريخ مجتمع في فترة زمنية معينة، أو ظاهرة من الظواهر استرعت اهتمامه يريد الكشف عنها انطلاقا من هذه المصادر.

1 – بعض الاهتمامات التي تشغل بال المهتم بدراسة التاريخ المغربي :

تتجه الدراسات المتعلقة بتاريخ المغرب في الوقت الحاضر إلى الاهتمام بما كانت عليه حياةالمجتمع المغربي في الماضي، للتعرف على ميكانيزم التحرك الجماعي في مستوياته المتنوعة. وهو ما اهملته المؤلفات التاريخية التقليدية التي انصب اهتمام

---

1) **Barraclough**, Tendances actuelles de l'histoire Paris. Flamarion. 1980 - P. 84

اصحابها على تسجيل البطولات الشخصية ووقائع الحروب، وما يتعلق بحياة هذا الامير أو ذاك. وازاء ما تبلور من رغبة في إعادة قراءة جديدة للمؤلفات التقليدية، وما تشكله الثورة الوثائقية المكتشفة أو التي لا زال السعي وراء اكتشافها جاريا، اصبح في الامكان توجيه اهتمام الابحاث التاريخية إلى طرح المشكلات وتحديد مفاهيم تناولها. وصار القصد متجها اكثر نحو دراسة المجتمع في مجموع مكوناته، وهو ما اتخذ مصطلح التاريخ الاجتماعي، ويهدف هذا الاخير مثل السوسيولوجيا إلى تغطية شاملة لحياة المجتمع.

فالنظرة الشمولية لمختلف العلاقات والسلوكات التي تطبع حياة المجتمع : السياسة، والاجتماعية، والاقتصادية، والحقوقية، والثقافية، والدينية : .. الخ، لرصد درجة التطور والتغير الحاصلين في تاريخ هذا المجتمع، والكشف عنها هي مطمح كل باحث في التاريخ الاجتماعي اليوم. وفي ذلك يستفيد من جميع العلوم الانسانية، ويحاول استخدام بعض ادواتها في التحليل للوصول إلى القصد المشار اليه اعلاه. وفي هذا السياق اشار «بروديب» إلى انه «لم نعد نعتقد في تفسير التاريخ عن طريق هذا العامل المهيمن أو ذاك. ليس هناك تاريخ احادي الجانب ..»(2).

وفي هذا الاطار فان التاريخ يمتد بجدوره مع بقية العلوم الاجتماعية المعنية بدارسة المجتمع إلى ارض واحدة(3). بل يعتبره البعض هو نفسه «علم المجتمع في الغاية»(4) والمقصد.

غير ان الامكانيات والوسائل المتاحة للسوسيولوجي من حيث سهولة التقصي والاختبار، باعتباره يدرس الحاضر، أو الماضي القريب المعاش، قلما تكون في متناول المؤرخ الاجتماعي أو هي بالاجمال شديدة الضيق، لا سيما اذا تعلق الامر بفترات اكثر توغلا في الماضي(5). فلا زالت معلوماتنا عن حياة المجتمع المغربي الداخلية في

---

2) **Braudel**, écrits sur l'histoire, Paris. Flamarion. 1969 - P. 20 -21

3) **Barraclough**, loc - cit

4) **جرمان عياش** : حوار مع الاستاذ جرمان عياش حول اطروحته عن : جذور حرب الريف. مجلة تاريخ المغرب – العدد الاول – فبراير 1980 – ص : 145.

5) **ل. م. دروبيشيفا** : السوسيولوجيا والتاريخ. ترجمة. على نمر دياب. دار الحداثة. بيروت. 1981. الطبعة الاولى . ص. 18.

تفاعلاته وتشابك مصالح قواه، معلومات ناقصة ومشتتة وغير متجانسة(6). وكلما تزايد الكم المصدري في طبيعته المتنوعة، صار الاخذ بهذا المنهج أو ذاك ايسر منالا واكثر ملائمة وواقعية لتحليل ماضي هذا المجتمع، وتسنى بالتالي في آخر المطاف نعت تشكيلته الاجتماعية بنعت معبر ومتطابق وغير اسقاطي.

واذا كانت كتب الحوليات والتراجم، قد انصب معظم اهتمامها على المدن والقواعد المغربية الرئيسية، وهي عادة مستقر السلاطين، ومجتمع النخبة المثقفة ومراكز النشاط السياسي والثقافي والتجاري منذ قرون مضت، فان حظ البوادي، والمراكز القروية النائية منها على الخصوص كان ضئيلا، ولم تعر لها الا اهتماما ثانويا. ما عدا في الحالات التي تكون فيها هذه الجهات ميدانا للنشاط العسكري للسلطة المركزية من أجل معاقبة القبائل «المتمردة» وردعها.

ورغم توفر بعض المراكز القروية على خزائن علمية ورجالات علم في مستوى علماء أو فقهاء المدن المعينة(7)، فان اصحاب التراجم لم يعيروا لهم اي اهتمام، وفي احسن الاحوال، اشاروا اشارات عابرة لبعضهم كانها سقطة من سقطات القلم.

فماذا يبقى امام من يروم اقتحام هذا المجهول من تاريخ الاطراف لمحاولة النفخ في هيكل تاريخي لم تمنحه التواريخ العامة حتى التي كتبت عن الفترة المعاصرة الا اشارات عابرة، خصوصا عندما تقوى رغبة الباحث في عدم الاكتفاء بما يمكن ان توفره الوثائق المخزنية من مادة في هذا المجال ؟

ليس لمن يقبل على هذه المغامرة الا التسلح بالصبر، والبحث والتنقيب الدئوبين في هذه الاطراف نفسها. وتعتبر تجربة الابحاث التاريخية الجهوية المنجزة في

---

6) **عبد الجليل التميمي:** من اجل كتابة علمية لتاريخ المغرب العربي. المجلة التاريخية المغربية. عدد خاص عن : المنهجية التاريخية ومصادر التاريخ المغربي. تونس عدد. 13 — 14. يناير 1979. ص : 9.

7) وردت تراجم الشيخ سيدي عبد الجبار الفجيجي وابنائه وبعض حفدته المشهورين بالعلم والتاليف والتدريس ومزاولة القضاء بفجيج خلال القرنيين العاشر والحادي عشر الهجريين، عند بعض اصحاب كتب التراجم، لكن بعد هذين القرنين لم يرد في كتب التراجم اللاحقة حسب علمنا اي اهتمام برجال العلم في هذا البلد، فيما بعد.
أنظر : الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، لمحمد حجي. صفحات : 511 — 516، لمزيد من التفاصيل.

السنين الاخيرة(8) والتي اعتمدت في الاساس على وثائق محلية، رائدة للابحاث اللاحقة. فهي من جهة انعشت الامال امام المهتمين بدراسة تاريخ جهات مماثلة للعثور على وثائق تخص تلك الجهات، ومن جهة اخرى فهي تقيم الدليل على عدم اعتبار الوثائق المخزنية بانها وحدها الاساسية، والتي تبقى لها الكلمة الاخيرة في تجلية الالتباس أو الغموض عن الواقع المغرب في الفترة التي تعنيها هذه الوثائق(9) اذ هي معبرة في جميع الاحوال عن إرادة السلطة المركزية أو نظرة اعوانها في الاقاليم، وهي : «... قلما تفيد، مباشرة، في معرفة ملامح الحياة القروية»(10) فلا بد اذن من تكميلها أو توضيح ماعسى ان تكون قد سكتت عنه، أو الكشف من خلالها عن النوايا الخفية للحكام(11)، أو حتى تصحيح ما يرد فيها من معلومات خاطئة تتعلق بوضعية هذا الاقليم أو ذاك، الطبوغرافية والبشرية التي يجهلها كتاب المخزن، خصوصا منها تلك الاقاليم النائية التي لم تصبح بعد ميدانا للبحث والتنقيب عن ثرواتها الوثائقية. ولا زالت حظوظ عملية التركيم والتقصي متيسرة. اذا بفضل جهود عدد من الباحثين المغاربة عن المصادر المكتوبة حول تاريخ المغرب وتراثه الفكري، امكن اكتشاف مجموعة من الوثائق والمخطوطات التي كانت تعتبر في حكم المفقود. وذلك بتوسيع عمليات البحث والتنقيب التي شملت مدخرات الزوايا، والمساجد، وخزانات بعض الاسر – خاصة منها التي لعب بعض افرادها دورا ما، ثقافيا أو سياسيا – في جهات

8) سبق ان نوقشت ابحاث هامة في جامعات مغربية واجنبية في هذا المجال. وعلى سبيل المثال : دراسة عن مجتمع اينولتان (1850 – 1912) لاحمد التوفيق. 1976 – توات في القرن (19) لمحمد اعفيف 1982 – مساهمة في دراسة تاريخ تافلالت ما بين القرنيين (17 – 18) للعربي مزين.
جذور حرب الريف : لجرمان عياش. 1979. وهنالك ابحاث منوغرافية لا زالت قيد الاعداد.

9) **Gr. Ayache** : études d'histoire marocaine. Rabat - S M E R (nouvelle édition augmentée). 1983 - P. 64

وقد استعرض في هذا المقال نفسه الذي عنوانه :
«مسالة الوثائق التاريخية المغربية» ما قطع من اشواط في جمع الوثائق المخزنية من القصور الملكية بفاس، ومراكش وغيرها، وما كان بيد بعض الاسر التي تقلد اعضاؤها وظائف مخزنية سامية. وهو ايضا يشدد على ما تشكله الوثائق المخزنية من القول الفصل في توضيح ما كانت عليه حالة المغرب في القرن (19) بعد مقابلتها مع الوثائق والكتابات الاجنبية.

10) **احمد التوفيق** : مساهمة في دراسة المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر. اينولتان (1850 – 1912) الجزء الاول.

11) **بييرجلين** : منشورات كلية الاداب بالرباط. مطبعة دار النشر المغربية. 1398 / 1978 – ص. 48.
تاريخ المغرب والمصادر الاوربية – مجلة البحث العلمي – يصدرها المركز الجامعي للبحثالعلمي – الرباط.
عدد خاص بندوة جمعية تاريخ المغرب – العدد – 10 – ابريل 1967 ص. 114.

متعددة من المغرب(12).

وهذا العمل هو نفسه الذي قام به الهلالي العربي الذي يعيننا كتابه الوثائقي(13) في الموضوع. كنموذج لما تشكله الوثائق المحلية من اهمية في كتابة تاريخ المغرب، اذ رغم عدم تخصصه في البحث التاريخي، اعتبر نفسه بتواضعه المعهود مجرد مهتم وهاو ليس الا. ومع ذلك، وبدافع الرغبة في البحث العلمي وحبه لمسقط راسه، نزل إلى أرض الميدان نفسه باحثا ومتقصيا للاثار المكتوبة عن البلدة الفجيجية الضاربة جذورها في التاريخ، يحفزه ويشجعه ما قد سمعه من روايات شفوية عن علمائها، ومناضليها ضد التسلط الاجنبي الذي لا زالت ذاكرة المسنين في البلدة جاهزة لرواية بعض تفاصيلها، خاصة المتعلقة منها بمجابهة مشاريع التوسع الاستعمارية في المنطقة. ومن اهمها حادث 1903 الذي التحم فيه رجال القصور الفَجيجية مع قوات فرنسية متوغلة حضرها الحاكم العام الفرنسي في الجزائر بنفسه، الجنرال جونار. فتمكن عن طريق ذلك من جمع العديد من الوثائق المختلفة الطبيعية والقيمة، منها ما يخص البلدة في ذاتها، ومنها ما يهم علاقات ساكنيها افرادا ومجموعات خارج محيطهم المحلي. وقد ضمن مؤلفه بعضا منها.

2) محتويات كتاب فجيج : تاريخ، وثائق، ومعالم.

قسم المؤلف كتابه إلى مدخل، وفصلين :

خصص المدخل لنبدة مختصرة عن جغرافية البلد، تعرض فيه لمفهوم فجيج من حيث الرقعة الجغرافية التي يشملها ذاكرا بان مجال امتداده يشمل مواطن تنقل قبائل : بني جيل، والعمور، والدوي – منيع، وأولاد جرير. وهذا المجال الجغرافي يضم علاوة على موطن تنقل هذه القبائل، عديدا من الواحات التي هي الآن كلها واقعة ضمن النفوذ الجزائري.

---

12) **راجع مقالات** : محمد المنوني، وابراهيم الكتاني، حول طبيعة المخطوطات المغربية. وكذلك مقالات جرمان عياش حول الوثائق المخزنية المغربية، وقد نشرت هذه المقالات في عدة مجلات مغربية واجنبية.

13) **الهلالي العربي** : فجيج. تاريخ. وثائق. ومعالم. (المسجد العتيق والصومعة الحجرية). المطابع المغربية والدولية – طنجة. محرم 1402 / اكتوبر 1981. وقد سبق ان عرف بهذا الكتاب. من طرف. علي المحمدي في مجلة الكتاب المغربي وهي مجلة بيبلوغرافية نقدية تصدرها الجمعية المغربية للتاليف والترجمة والنشر العدد الاول. مارس 1983.

ثم تطرق إلى واحة فجيج بالذات، فقال : انها كانت تشمل ما يمتد «في الجزء الشرقي من جبل كروز وشماله وجنوبه» من الواحات والمداشر، ثم اضاف : «في هذا الوقت فان واحة فجيج تقتصر على القصور السبعة».

بعد ذلك اشار إلى طبوغرافية فجيج، وعدد سكانها حتى الحرب العالمية الثانية، ووضعيتها الاستراتيجية كملتقى طرق القوافل التجارية والنشاطات الاقتصادية التي كان يزاولها سكانها. وكل هذا في ايجاز شديد، اذ كان الهدف من الكتاب حسب مقدمة المؤلف نفسه، هو نشر مجموعة من الوثائق المتعلقة بفجيج ومحاولة التعريف بالدور الثقافي الذي لعبه المسجد الجامع بقصر الوداغير، أحد اهم القصور الفجيجية.

الفصل الأول : خصصه للتعريف بتاريخ فجيج الداخلي منذ العصر الحجري الصناعي (الحديث) نظرا لشواهد على ذلك العصر لازالت تطبع صخور بعض جبال فجيج كرسوم وكتابات، وقبور، (او كراكير) tumulus، تعددت حولها الكتابات الاجنبية بالدرس والتحليل، لامثال فلامون (Flamand) وكوتيي، وهامي (Hamy) وغيرهم.

وتعرض الكاتب بعد ذلك إلى عناصر السكان الذين كانوا يقطنون إقليم فجيج ومنطقته الممتدة ما بين حدودي المغرب والجزائر الان، وذكر انهم زناتيون، انضافت اليهم عناصر مهاجرة اخرى مع توالي القرون من مناطق مختلفة، كصنهاجة وشرفاء ادريسيين وغيرهم، ابتداء من القرن الخامس الهجري. ويسترسل المؤلف في تناوله لاحداث فجيج السياسية والاجتماعية في عهد الامبراطوريات المغربية القروسطية، وفي عهد دولتي الشرفاء (السعديين والعلويين)، إلى أوائل القرن 20 وعقد الحماية على المغرب. وخلال ذلك تعرض لعلاقات سكان القصور فيما بينهم من جهة، وعلاقات هذه القصور بالمخزن من جهة ثانية؛ وذكر في هذا الصدد ان هذه العلاقات لم تسر على وتيرة واحدة، بل كانت سلطة المخزن تقوى أو تضعف حسب طبيعة السلطة نفسها وقدرتها على الامتداد نحو هوامش البلاد. ثم تعرض للتوسع الفرنسي نحو منطقة الجنوب الشرقي المغربي وموقف السكان منه، ابتداء من احتلال الجزائر ومقاومة عبد القادر الجزائري إلى احتلال الواحة نفسها وفرض الحماية على المغرب سنة 1912.

الفصل الثاني : خصصه للمسجد العتيق والصومعة الحجرية، من ذلك تاريخ

التأسيس والظروف المحيطة به وشكل البناء وأسسه المعمارية، والتطور الذي رافقه مع تكاثر سكان القصر واتساع نشاطات المسجد على الخصوص، كجامع لاداء الصلوات الخمس وصلاة الجمعة، وكمركز علم، اخذ يتسع اشعاعه ليشمل طلاب علم ومقصد فقهاء وعلماء توافدوا اليه من القصور المجاورة ومن مناطق بعيدة ايضا عن الواحة. وفي هذه النقطة اورد عددا من وجوه الاحباس الخيرية كالطعام أو الكتب المحبسة، على طلبة وفقهاء المسجد الجامع. ثم جاء بترجمة لعديد من الفقهاء والعلماء الذين زاولوا مهنة الامامة والتدريس بالمسجد، كما اهتم في المقابل برجالات العلم الذين عرفتهم زاوايا ومساجد قصور فجيج الأخرى.

وقد اعتمد في كتابة هذا الفصل على مجموعة كبيرة ومتنوعة من المصادر كبعض المخطوطات أو هوامشها التي وردت بها اشارات أو تراجم لهذا العالم أو ذلك، وعلى وثائق مختلفة الطابع : كتقاييد، وعقود الملكيات والاحباس، ورسائل شخصية، وظهائر وغيرها، في شكل التقاطات واستغلال كل اشارة دالة.

والحق ان المؤلف ما كان له ان يجمع مادة هذا الفصل الا بعد الجهد المضني في تقريب حلقاته، بعملية تركيبية مجهدة وفق في سد الكثير من ثغراتها بقدر الامكان. وهي عملية ليست سهلة على الاطلاق، لعدم توفر أي أرضية سابقة، سواء في كتب التراجم، أو الحوليات.

3) تصنيف الوثائق الواردة في الكتاب

ليس الهدف من تقييم هذا الكتاب ان نجعل منه موضوع دراسة نقدية، اذ يتلخص هذا العرض المتواضع في ايضاح خلفية ما تتضمنه بعض هذه الوثائق، وتبيان ما تشكله من اهمية تصحيحية أو توضيحية. وليكن مناسبة إلى التنبيه لما يمكن ان يشكله مجهود المؤلف من بعث للهمم في مختلف الجهات المغربية ذات الرصيد الوثائقي للكشف عنها وانقاذها من الاهمال والضياع.

وقد وفق المؤلف في اختيار ما يناهز 35 وثيقة نشرها في كتابه، وهي ذات صلة بمختلف اوجه الحياة في الواحة وصلاتها الخارجية، ويمكن تصنيفها حسب مواضيعها إلى الآتي :

- وثائق ذات موضوع، ديني - اجتماعي (14)

هذه الوثائق توضح اهتمام سكان القصور الفجيجية (والمنطقة بصفة عامة) بمسألة الحبس، اذ لا تتواني اية اسرة من أسر هذه القصور على طول شجرة نسبها، عن تحويل جزء ولو صغير من املاكها إلى مسجد أو كتاب تدريس القرآن، أو ضريح أحد الصلحاء، لاغراض إحسانية. وهنالك نوع آخر من الحبس يُحول من خلاله الجد أو الاب ما كان بيده من املاك النخيل والمياه والدور ... وما إلى ابنائه وحفدته، وهي عادة تكاد تستاثر على غيرها من انواع التفويت في هذه الواحة. ولها خصوصيتها التي لا يتسع المجال لبحثها في هذا الموضوع.

- وثائق ذات موضوع ثقافي (15)

هذه الوثائق تتعلق بتحبيس كتب ومصنفات في مختلف ميادين المعرفة في ذلك العصر. على الطلبة في المساجد وزوايا العلم، بالاضافة إلى رسائل نثرية وقصائد شعرية في الوصف والمدح والرثاء وغيرها بلغت درجة عالية من الابداع الفني، وسلاسة في الاسلوب. ولا حاجة إلى التذكير بما عرفته واحة فجيج من نشاط علمي كبير ابتداء من القرن العاشر الهجري، وما خلفه من اثر مخطوط لازال بعضه موزعا بين مكتبات وطنية في المغرب وخارجه وللوقوف على اهمية هذا النشاط العلمي الهام(16). يكفي الرجوع إلى بعض ما كتبه اصحاب كتب التراجم، والرحالة لاداء فريضة الحج في القرنيين السابع عشر والثامن عشر المارين على فجيج، كالعياشي والناصر الدرعي،(17) اللذين زارا خزانة دار العدة للكتب التي أسسها الشيخ عبد الجبار الفجيجي واغناها بعده ابناؤه وحفدته بفجيج.

- وثائق ذات موضوع اقتصادي - اجتماعي وسياسي (18)

تهم النزاع بين قصرين من قصور فجيج حول الماء، وهو نزاع دام مدة طويلة،

14) الوثائق المرقمة في الكتاب على الهامش وهي كالاتي : 1 — 11 — 20 — 22 — 24.
15) الوثائق تحت الارقام الاتية : 10 — 21 — 23 — 27 — 35.
16) محمد حجي : المرجع السابق. الجزء الأول. ص. 106 — 152 — 187.
17) راجع رحلة : أبو سالم العياشي، المسماة «ماء الموائد ..» وكذلك، «الرحلة الناصرية» لابي العباس احمد بن محمد بن ناصر الدرعي.
18) الوثائق تحت ارقام : 3 — 6 — 16 — 29.

وكانت له مضاعفات خطيرة على الامن في الواحة وعلى مستوى التجانس بين قصورها. فلا نجد تفاصيل عن هذه الاصطدامات وتشعباتها، والدعاوي والاحكام الصادرة حولها، الا اذا جمعنا ما بين الوثائق المخزنية والوثائق المحلية، اذ يمكن ان يكمل بعضها البعض الاخر. وتتيح هذه الوثائق ليس فقد تتبع سيرورة هذا النزاع وما افضى إليه في النهاية ضمن الرقعة الجغرافية التي تجري فيها هذه النزاعات، بل ايضا تمكن هي وغيرها من الوثائق الأخرى من الاطلاع على نوعية العلاقات التي كانت تربط المركز بالمحيط.

ولا يخفى ما للبيئة الجغرافية والمناخية من تاثير واضح على نشاطات السكان وعلاقاتهم المتنوعة فيما يسمى بالمرفلوجية الاجتماعية. واذا كان من الغلو حقا، ان يعتمد على «حتمية جغرافية» في تفسير وتوجيه سلوك مجموعة سكنية معينة في رقعة جغرافية محددة، باعتبار ان كل حياة المجتمع تمتد بجدورها في الارض(19)، وهو ما ينفي اي خلق أو ابداع بشري يصبح فيه الفرد عبدا للطبيعة، فان لبعض اقاليم المغرب خصوصيات بيئية طاغية على حياة سكانها، كما تعتبر عاملا من العوامل التي يجب اخذها بالضرورة في تحليل وتعليل الاحداث.

وإلى هذه العوامل الطبيعية كالجفاف ومحدودية المياه بالنظر إلى مجموع السكان في بيئة صحراوية كواحة فجيج مثلا، يرجع النصيب الاوفر من اسباب النزاع للاستحواذ على كمية اوفر من مياه الري.

– ظهائر السلاطين للاشراف والمرابطين (20)

فجيج، مثل باقي مراكز الاستقرار بالمغرب، تسكنه عناصر مختلفة ذات اصول نسبوية حقيقية أو منتحلة، ومن بينها اسر احتفظت بشجرة نسبها الشريف، وبانتمائها لجد مرابط. ولتمسكها عبر اجيال عديدة باصول انتمائاتها هذه علاقة بالاوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي كانت تحكم مغرب ما قبل الحماية : كالرغبة في الافلات من اداء الضرائب غير الشرعية للمخزن، والتصدي للعب دور الحكم بين الاطراف المتنازعة، أو على الاقل – بالنسبة لبعض الاسر – حمل الجميع

19) محمد بدوي : المرفلوجية الاجتماعية واسسها المنهجية عند ابن خلدون. اعمال ندوة ابن خلدون «14 – 17 فبراير 1979». منشورات كلية الاداب والعلوم الانسانية. الرباط. 1981 ص : 174.

20) وثائق تحت ارقام : 36.34.32.30.29.13.12.9.8.7.5.4.2.

على الاعتراف لبعضها بحيادها التام في اطار الصراعات الناشبة بين الحين والآخر بين الاحلاف.

ويمكن ايضا استغلال هذه الظهائر نفسها للاطلاع على وجه من أوجه العلاقات التي كانت تربط سكان هذه الناحية بالسلطة المخزنية.

– وثائق تحدد علاقة القصور الفجيجية مع الفرنسيين (21)

هذه الوثائق متنوعة ويمكن تصنيفها إلى ما نضعه ضمن خط عمودي (ان صح التعبير) من علاقات السكان بالخارج كالرسائل التي تبودلت ما بين سكان الواحة والسلطة المركزية في شان الاضطرابات الحاصلة على الحدود الجنوبية الشرقية من جهة، وبين المخزن وممثلي الدولة الفرنسية في كل من طنجة والجزائر من جهة ثانية. ثم ما نضعه ضمن خط أفقي، وهي التي كانت متبادلة مباشرة بين هولاء السكان وبين الضباط الفرنسيين، اما اثناء مرور طوابيرهم بجوار الواحة، أو مع الذين تقلدوا منهم مهام المراكز المتقدمة في الجنوب الشرقي الجزائري المغربي.

4) اهمية الوثائق المحلية ومشاكل الاستفادة منها

لهذه الوثائق الواردة في الكتاب المعني، بالاضافة إلى غيرها اهمية كبيرة لرسم صورة اكثر وضوحا عن تاريخ المنطقة التي تعنينا. وعلى سبيل المثال : فرسالة الامير عبد القادر الجزائري التي بعث بها إلى سكان فجيج، عثر عليها سابقا من طرف (كونيالون GOGNALONS) وحللها وعلق عليها في المجلة الافريقية(22) وسمح لنفسه ان يخرج منها باستنتاجات قد لا تخدم الحقيقة التاريخية اكثر مما تعبر عن وجهة نظر الكاتب الشخصية. الا ان جواب الفجيجيين على هذه الرسالة التي لم يعثر عليها الا مؤخرا، وقد اوردها صاحب الكتاب(23)، يمكنها ان تعتمد كرد على المغالطات التي انتهت اليها استنتاجات (كونيالون) باعتبارها شاهدة على تبلور شعور محلي من الحماية الدينية ضد التسلط الاجنبي على جزء من بلاد المسلمين المحادية لسكان المنطقة. بل

---

21) وثائق تحت ارقام : 31.28.19.18.17.16.15.14.

22) **L. Gognalons** : une proclamation de l'emir Abdelkader aux habitants de Figig en 1836
Revue Africaine 1913. P. 245

23) **العربي الهلالي** : المرجع السابق ص 159

ويمكن اعتباره احساسًا مبكرًا لما سيشكله هذا التسلط من خطر مستقبلي على بلادهم بالذات، ويستهدف مجتمعهم وهويتهم ان قابلوا نداءات الامير عبد القادر باللامبالاة. وما تلك الحمية الدينية في النهاية الا رد فعل لشعور وطني بدائي — كما عبر عن ذلك جرمان عياش(24) بدأ ينمو منذ ذلك الحين ضد كل تسرب اجنبي من اية جهة كانت، والذي رصد في جهات اخرى من المغرب، سواء على طول الحدود المغربية الجزائرية انذاك من البحر المتوسط شمالا، إلى توات جنوبا، أو في جهات اخرى من شمال المغرب وجنوبه الغربي.

وفي هذا السياق، فان جميع الاجانب على اختلاف اختصاصاتهم واهتماماتهم العلمية،الذين زاروا منطقة الجنوب الشرقي منذ انطلاق الهجمة الاستعمارية، خلفوا عنها كتابات تصف حياة مجتمعاتها وظروف البيئة وما اعترى الاحوال المناخية من تبدل واضطراب ونتائجه السلبية على الحيوان والنبات، وانعكاسها على حياة الناس. ومن هذه الزاوية تعتبر أوصاف هولاء مصدرا ذا اهمية للدارس، الا انه من البديهي الاحتراز من الاحكام المسبقة والنتائج التي استخلصوها من طبيعة العلاقات السائدة بين المجموعات الساكنة بالمنطقة في محيطها المحلي والوطني.

اذ حسب اعتقادنا، فجميع الرحالة الاجانب الذين جابوا طول وعرض الشمال الافريقي، وبالاخص منه المغرب خلال القرنين الماضيين، فان ما كتبوا عنه من وصف فيه كثير من التحامل والجهل بالامور، ليس نابعين من تبعات السفر حلوه ومره(25)، وما يمكن ان يتعرضوا له من مخاطر وهم متوغلون داخل البلاد، بل هم مدفوعون إلى ذلك الوصف بحكم المهمة والتوجيه المنوطين بهما قبل القيام بمغامرة السفر ذاك في برية الضفة الجنوبية من البحر المتوسط.

ان جميع الرحالة الاجانب، الذي كتبوا عن منطقة الجنوب الشرقي المغربي

24) **جرمان عياش** : الشعور الوطني في مغرب القرن التاسع عشر — مقال نشر في المجلة التاريخية، اكتوبر، نونبر 1968 ترجمه إلى العربية عبد العزيز التمسماني خلوق، ومحمد الامين البزار، في ملحق العلم الثقافي، فبراير 1982.

25) **يعتبر بييرجلين** : ان لعامل السفر تاثير على ما حرره الرحالة الاجانب في سفرهم عن بلاد المغرب قبل الحماية ثم اضاف بعد ذلك بوجوب الانتباه إلى (بعض) النوايا الخفية لكثير من الرحالة الاجانب إلى مغرب القرن (19) الذي «يعتبرون دعاة للتوسع الاستعماري». مجلة البحث العلمي — العدد السابق. 1967.

وحتى بعض الدارسين الذي تمكنوا من الاقامة بواحة فجيج نفسها مدة معينة من الزمن في اوائل هذا القرن، سارعوا للبحث عن كل ما يتصل بماضي هذا المجتمع، القريب منه والبعيد، كشكل المباني، وادوات الانتاج وبعض العادات وغيرها؛ فشكلوا من كل ذلك دراسات وصفية وتأويلية فيها كثير من الغلو والمبالغة، ولا يقبلها المتصفح العاقل(26). ويدفعنا هذا كله إلى طرح السؤال الآتي : هل يمكن فعلا ان نتلمس الماضي فيما هو باد للعيان وعالقا بالذاكرة لازال حيا في احشاء مجتمعنا الحاضر ؟ في اعتقادنا ان اثبات أو نفي هذا الكلام تبقى نسبية ولا يجب ان تخدعنا صور متفرقة عن الماضي بانها تعبر عن بنيات اصيلة احْتفظت بسماتها بكل امانة إلى اليوم. فان تمكنت اشياء عديدة تعبر عن الماضي من الصمود ومغالبة الزمن إلى وقتنا الحاضر، فهي ولا شك قد اتخذت اشكالا مغايرة في محتوياتها السابقة(27). وهذا يعاكس ما ذهب اليه بروفنسال(28) الذي اعتقد ان بامكان الراغب في الاطلاع على «الحالة الاجتماعية التي كان عليها هذا البلد (المغرب) في العصور السالفة» .. ان التجول «ساعة واحدة في ازقة فاس واسواقها كثيرًا ما تكون اوفر فائدة» من تصفح مراجع. ويضيف ان «ما سبب ذلك، فيما ارجح، الا لان المغرب بلاد جامدة ومحافظة» وهو زعم ينطبق عليه مثال من يرى الشجرة وتختفي عنه الغابة. ذلك ان التطور والتغير الذي عرفته اللغة المتداولة نفسها بين افراد المجتمع المغربي (الدارجة — البربرية) من اقليم لآخر، والتي ضاعت معها دلالات لرموز معبرة عن الحياة المادية والادبية لهذا المجتمع، اصدق دليل على ان صورة الماضي في الحاضر ليست الا صورة نسبية مالم تبرهن المصادر المتنوعة — وخاصة المكتوبة عن الفترة القريبة منَّا — عما يدعمها. اذ بذلك وحده نكون صورة اقرب إلى الحقيقة عن الماضي.

ويندرج في هذا المعني ما يعبر عنه بالرواية الشفوية التي يستطيع من خلالها

---

26) انظر على سبيل المثال ما كتبه كل من :
- **Edmond Doutté** : Figuig, notes et impressions, dans ''la géographie'' 1903.
- **Gromand (R)** : le particularisme de Figuig in Renseignements coloniaux 1939.
وكذلك كتابات كل من Gautier و A. Bernard، وغيرهم عن فجيج والمنطقة.

27) **ريمون لافارج** : العلوم الاجتماعية، ومجتمعات افريقيا الشمالية.
مجلة الزمان المغربي، عدد 14 / 15 — 1983، ص 86.

28) **ل. بروفنسال** : مؤرخو الشرفاء — تعريب عبد القادر الخلادي.
مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط 1397 / 1977، ص 27

الباحث ان يكون مصدرا(29) جديدا للمعلومات المراد توظيفها في مكانها من البحث، وهي بالنسبة لعدد من أوجه الحياة الاجتماعية في الفترة القريبة مناذات اهمية في تجلية الغموض عن احداث وعادات لم يتخلف عنها اي مكتوب، أو ان ما كتب عنها باقتضاب وبمصطلحات لم تعد متداولة لا يزيدها الا غموضا. وبفضل ما علق من ادب شفوي عن هذه الاحداث في ذاكرة المسنين يتمكن الدارس من فتح رموزها، لكن الرواية الشفوية لا زالت تطرح الكثير من النقاش، في مدى صحة الاخذ بها، والوسائل الكفيلة باتقاء ما يمكن ان تحمله من زيف وتضليل ناتجين عن خيال الراوي؛ اذ الحدث المكتوب يحتمل الكثير من الصدق والزيف تبعا لوضعية كاتبه، فبالاحرى ما يتناقل شفويا، أو حتى ما يسجله شاهد العيان في ذاكرته ويستجوب بعدها من سائله. وعلى كل فالحذر تستوجبه الشهادة الشفوية واصناف من الشهادات المكتوبة معا. وهدا ما عبر عنه «باسكون» بقوله «.. فمن الديماغوجية الاعتماد بان الذاكرة الشعبية والتربوية تكمن في مقابلتهما»(30). ويمكن ان نضيف إلى ذلك بان الفائدة المنهجية اذا ما تعلق الامر بالبحث في تاريخ جهوي – تكمن في مقابلة الوثيقة المخزنية بالوثيقة المحلية وتمكن بعض الوثائق والتقاييد الاخرى مما عثر عنه رغم قلتها من تجلية الحقيقة عن المغالطات والدعاوي الاجنبية لتحميل سكان منطقة الجنوب الشرقي جميع عمليات النهب والسرقة في الإيالة الشرقية، وتبعات الاصطدامات التي كانت تقع ما بين الفيالق العسكرية الفرنسية المتوغلة في المنطقة قصد مد سيطرتها اقصى ما يمكن نحو اطراف الجنوب الشرقي المغربي، وبين القبائل المهيمنة على معظم مجال تلك الاصقاع.

وقد اورد مؤلف الكتاب الذي يعنينا في الموضوع، في هذا الشأن مسودة لرسالة جوابية(31) صادرة عن اهل فجيج إلى الحسن الاول يردون فيها على اتهامات السلطة الفرنسية بالجزائر، فيما تزعمه من اسباب الاضطراب على الحدود الجنوبية الشرقية، وما كان لاهل فجيج من يد فيها. وهم في رسالتهم هذه، وباسلوب يختلط فيه مقارعة الادعاء بالحجة المبطلة، يلفتون نظر السلطان باشارات غير مباشرة إلى التفطن لمزاعم السلطات العسكرية الفرنسية بالجزائر، ولنواياهم المبيتة، ويجددون تشبثهم

29) **ل.م. دروبتشيفا** : مرجع سابق، ص 135.

30) **بول. باسكون** : المكتوب والمنطوق – مجلة ابحاث، عدد. 3. دجنبر 1983، ص 7

31) **العربي الهلالي** : المرجع السابق، ص 49.

بمغربيتهم وتبعيتهم للسلطة المخزنية.

والواقع ان موضوع فجيج قد شغل الاهتمامات المخزنية من جهة، والفرنسية من جهة ثانية، طوال فترتي حكم الحسن الاول وابنه عبد العزيز، إذ لم يطرح قبل ذلك بحدة اكثر. ولا حاجة إلى التذكير بان هذه الوضعية ما كانت لتخلق اصلا لولا النوايا المبيتة للسلطات الفرنسية بالجزائر في دفع وحداتها العسكرية للتوغل في المنطقة، بقصد تهييء شروط احتلالها. في الوقت الذي كانت تعترف فيه بحكم المعاهدات المبرمة قبل ذلك مع السلطة المخزنية – بالسيادة المغربية على المنطقة(32).

ومن الطبيعي انتظار رد فعل سكان المنطقة ازاء هذه الاستفزازات التي كانوا يعلمون متيقنين بانها بداية لمرحلة الاحتلال الفعلي، فكانت صيحات الانذار والتشكي تصل تباعا إلى السلطة المخزنية المركزية للاستنجاد بها وتوضيح خطورة الحالة؛ وفيما كانوا متأهبين ببنادقهم وإمكانياتهم المحدودة لرد كل امتداد للاجانب، اخذت صيحات السلطات الفرنسية منددة ومتوعدة السلطان المغربي لما ينتج من عواقب الاضطراب الذي يحدثه رعاياه على الحدود حسب زعمها تارة، واغراء هولاء الرعايا ومحاولة دفعهم لفتح ابوابهم للفرنسيين الذي يحملون اليهم «الرخاء والسلام»، تارة اخرى. انها صورة لوضعية سياسية وعسكرية متشابكة، في نقطة تماس من اكثر بؤر الاضطراب والنزاع بين مغرب القرن 19 الذي كان إلى ذلك الوقت محتفظا (باستقلاله) وبين المحتلين الاجانب في الجزائر الذي اتجهت انظارهم واهتماماتهم لابتلاع ذلك المغرب الهش.

ان اهمية هذه الوثائق كمصادر اصيلة للكشف عن بنية هذا المجتمع الداخلية وتفاعله مع الاحداث المستجدة في محيطه الخاص (المنطقة) والعام (المغرب)، خاصة خلال منتصف القرن 19 يؤكده تنوع هذه الوثائق نفسها، المكتشف منها والذي لازال في الامكان العثور عليها : من رسائل خاصة وعامة، وظهائر، وعقود متعددة الطابع والموضوع، وقصاصات لاسئلة نوازلية واجوبتها، وتقاييد .. الخ. كل ذلك يشكل ثروة غاية في الاهمية لمن يريد ان يدرس هذه المجتمعات الجهوية في عمقها الحقيقي. الا ان الفرصة ليست مواتية في اغلب الاحايين للحصول على هذه الوثائق

32) راجع معاهدة للامغنية لسنة 1945، وبروتوكول 1901 بين المغرب وفرنسا لتسطير الحدود المغربية الجزائرية. وقد نشرت نصوص هاتين المعاهدتين في عدة مراجع عربية واجنبية.

من يد اصحابها. واذا ما تكرم البعض، مدفوعين برغبة في المساعدة عن تفهم أو أريحية ادبية، وحصل منه الباحث أو المهتم، بعد طول انتظار على بعض ما يملكون من الوثائق شاكرين، فان الخيبة كثيرا ما تحل محل الفرح، اذ بعد فرزها وقراءتها يتبين عدم جدواها في الموضوع، أو أن قيمتها قد لا توازي ما بذل من جهد مادي وادبي في سبيل الحصول عليها. وهو أمر مألوف لدى جميع الباحثين.

ان الكتابة في التاريخ المحلي ليست سهلة على الاطلاق، اذ تعتمد على الجمع الواسع بين مصادر متنوعة تعني الفترة المعنيَّة بالدراسة خصوصا اذا كان الامر يتعلق بدراسة شاملة تسعى لمعرفة دينامية هذا المجتمع في علاقاته المتنوعة وتطورها.

واذا كان الاقتصاد مثلا، هو المحرك الفاعل[33] وراء مختلف النزاعات بين المجموعات المكونة للمجتمع وترجمة لعديد من السلوكات الفردية والجماعية الظاهرة أو الخفية في سطح العلاقات المتشابكة لهذا المجتمع أو ذلك، فان الباحث في تاريخ هذه المجتمعات المحلية ليس سعيد الحظ دائما في العثور على ما يكفي من الوثائق الاساسية في موضوعه، فلا وجود للوائح احصائية وارقام لمستويات الانتاج، أو اثمان لبعض المواد الفلاحية الاساسية في تغذية السكان مثلا، على الصعيد الوطني فبالاحرى المحلي، والاكثر من ذلك عدم وجود وحدات وزن، وقياس، ومكيال، موحدة للمواد المنتجة أو المستوردة، اذ نجد لكل اقليم وحدات وزنه ومكياله الخاصة به، بل حتى في الاقليم الواحد كثيرا ما نجد بعض الاختلافات في هذه الوحدات من مكان لاخر. فلازلنا لم نتمكن بعد من حصر وحدة المد الاساسية الرائجة وقيمة ما يزنه من الكيلغرامات الحالية من جهة إلى اخرى في المغرب.

وهنالك مشكل النقود. وهي تطرح صعوبات ومشاكل كبيرة امام الدارس في منطقة جنوب المغرب الشرقي، اذ بحكم مجاورتها للجزائر المحتلة من قبل الفرنسيين خلال القرن 19، وارتباطها بعلاقات تجارية وغيرها بباقي المناطق المغربية، انتشرت فيها عدد من العملات الاجنبية : فرنسية، اسبانية، واستعملت جنبا إلى جنب مع العملة الوطنية في مختلف المعاملات بين السكان، وردت عنها شواهد كثيرة في العقود والرسائل الشخصية المتبادلة بين تجار المنطقة مع غيرهم. ومن اهم هذه المشاكل

33) **فرانسوا ارنولاي** : بعض الانطباعات حول البحث عن التاريخ الاقتصادي للمغرب العربي في ق 19. المجلة التاريخية المغربية — تونس، 1979، ص 12 — 13.

قضايا الصرف، والمكانة التي تحتلها وحدات العملة المغربية وسط رواج هذه العملات الاجنبية ومدى اقبال السكان عليها. ثم ماهي قيمة الريال المغربي بالنسبة للدورو الاسباني أو إلى القطعة الفرنسية من خمس فرنكات في فترة من فترات منتصف القرن التاسع عشر على سبيل المثال ؟.

ومن بين المشاكل التي تطرحها هذه الوثائق ايضا عدم تغطيتها الزمنية لطول الفترة التي هي موضوع الدراسة المحددة من قبل الدارس، ثم ان الباحث يجد نفسه احيانا امام احداث لم يوفق في العثور حولها الا على اشارات جافة مقتضبة لاتفي بالغرض، بل تزيد من حيرته في مدى امكانية الاستفادة منها وتوظيفها في بحثه، فيصبح بين اختيارين اما اهمالها، واهمال الحدث نفسه، أو التشبث بهذه الاشارات وعصرها حتى تنطق بما لا تحتمله.

ومن المشاكل الاخرى التي يطرحها التعامل مع هذه الوثائق، وهي تقنية في الغالب، تلك التي تعرض لها الاستاذ جرمان عياش بكثير من التفصيل في احدى مقالاته(34)، نكتفي باقتباس بعضها هنا. «تتجلى الصعوبات المشتركة في كتابة هذه الوثائق بمداد باهت، وخط غير جميل وتحرير مضطرب بالاضافة إلى المحو الذي يفعله مرور الزمن، وتوالي الايام ..».

واكثر هذه الوثائق تعرضا للاتلاف، وقضم الإرضة لاطرافها، والمحررة بخط سيىء وبتعابير صعبة الفهم، هي تلك الصادرة أو المكتوبة من طرف عدول، وقواد البادية كما أورد الكاتب اعلاه، اذ : «.. القارئ يتوقف في كل آن وحين، امام بعض الكلمات والتعابير غير العادية التي تتخلل هذه الوثائق، والتي تفسد مدلول نص كامل ومفهومه ...»(35).

والخلاصة : نظرا لقيمة واهمية الوثائق المحلية التي اخذ يتجه الاهتمام مؤخرا للكشف عنها من اجل القيام بدراسات منوغرافية محلية تساعد على فحص أضمن لواقع هذه المجتمعات المحلية في الماضي في عملية تنطلق من الخاص لتركيب العام انطلاقا من مادة اغزر، ونظرة مغايرة لما هو حاصل؛ فان من شان تكاثف الجهود، وتنامي الاهتمام بهذا النوع من الدراسة التاريخية، ما يساعد على تدليل العقبات والتغلب على المشاكل، للوصول إلى الغايات الطموحية.

34) **جرمان عياش** : استعمال الوثائق التاريخية المغربية. مجلة البحث العلمي، العدد السابق، ص 127

35) نفسه.